دايتون.. زعيم فلسطين... د. عبد الستار قاسم

السبت 4 يوليو 2009 12:07 م

4/07/2009

***د / عبد الستار قاسم :**

يبدو أن العرب لم يتعلموا كثيرا منذ عهد لورانس العرب الذي مثّل عليهم وكسب ثقتهم وساقهم سوقا نحو القيام بالنشاطات التي خدمت بريطانيا وسياستها الاستعمارية في المنطقة؛ ولم يتعلموا من تجربتهم مع غلوب باشا الإنكليزي الذي كان قائدا للجيش العربي الأردني.

لورانس وغلوب موجودان الآن تحت اسم دايتون فلسطين، الذي يعرف تماما مدى سذاجة العقل العربي، ويعرف كيف يقوم بأدواره التمثيلية بهدف كسب ثقة الناس المستهدفين.

دايتون يقوم الآن بدور البطل الذي سيقيم دولة للفلسطينيين مثلما لعب لورانس دور البطل الذي كان سيقيم مملكة عربية متحدة بقيادة الشريف حسين؛ وهو الآن يدخل في قلوب العديد من العسكريين الفلسطينيين ويقنعهم بأن طريقته في التدريب والأداء والاستهداف هي التي ستؤدي حتما إلى قيام دولة فلسطينية مستقلة.

من هو دايتون

كيث دايتون من مواليد عام **1949** وهو ضابط أميركي يعمل منسقا أمنيا بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وقد تم تعيينه في هذا المنصب عام **2005** من قبل الإدارة الأميركية. دايتون ضابط متعلم، حاصل على الشهادة الأولى في التاريخ، وعلى درجة الماجستير في العلاقات الدولية؛ وهو صاحب خبرة عملية عسكرية خاصة في سلاح المدفعية، ودبلوماسية حيث عمل ملحقا عسكريا في موسكو، وسبق له أن عمل في فرع التدريب حول السياسة السوفياتية، وفي ميدان التفتيش عن الأسلحة العراقية، وهو يتقن اللغة الروسية.

تم تعيينه منسقا أمنيا بسبب خبرته الأمنية والعسكرية وقدرته على إعداد الجنود بطريقة تضمن ولاءهم، وتعزز قناعتهم بالهدف الذي يردده على مسامعهم. ويبدو أن الإدارة الأميركية كانت تثق بقدرته على إقامة العلاقات العامة الناجحة التي تجعله موضع ثقة من قبل الفلسطينيين الذين يتولى الإشراف عليهم، وواضح أن مهمته لم تكن بالأساس مجرد التنسيق مع إسرائيل، وإنما قيادة الفلسطينيين -خاصة الأجهزة الأمنية- بالطريقة التي تدفعهم إلى تنفيذ البرامج التي تضمن أمن إسرائيل، وتؤدي بالتالي إلى استقرار الوضع في الضفة الغربية وغزة. مهمته لم تقتصر على نقل الشكاوى أو المطالب من كلا الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي وإنما امتدت لتشمل برامج تدريبية يخضع لها الفلسطينيون وفق المعايير التدريبية والأخلاقية والسياسية الأميركية.

هذا الشخص هو الذي يسير الأمور السياسية الآن في الضفة الغربية، وهو الذي يتدخل مباشرة في النشاطات الأمنية، وهو الذي يقدر كيفية دعم الأجهزة الأمنية الفلسطينية وكيفية توجيهها نحو الأعمال التي ترضي إسرائيل وأميركا أمنيا.

إنه يجلس في مكتبه يخطط، ويقوم بزيارات ميدانية ليطلع مباشرة على أداء الأجهزة الأمنية الفلسطينية. إنه هو صاحب الكلمة المسموعة في واشنطون حول السلاح الذي يجب تقديمه للسلطة الفلسطينية، ونوعيته، وحول الأموال المطلوبة لدعم النشاطات الأمنية الفلسطينية، وهو يتدخل أيضا في توصيات تعيين مسؤولين أمنيين فلسطينيين.

يشكل مع جيكوب واليس، القنصل الأميركي في القدس، أقوى بؤرة تأثير الآن في الضفة الغربية من نواح اجتماعية وسياسية وأمنية واقتصادية ومالية. إنهما يتحملان مسؤولية كبيرة في إدارة شؤون الفلسطينيين، ويساعدهما في مهامهما عدد من الخبراء والمختصين في المجالات الأمنية لقاء أجور ورواتب مغرية جدا. أما الفلسطينيون فعبارة عن منفذين.

فريق العمل الدايتوني

دايتون ليس هو أول الضباط الأميركيين الذين يقومون بالتنسيق الأمني بين الفلسطينيين والإسرائيليين، إذ سبقه شخص اسمه وورد **ward**، الذي انتهت مدة ولايته لصالح دايتون. يقول دايتون في مقابلة مع عبد الرؤوف الأرناؤوط منشورة في الأيام الفلسطينية بتاريخ **26** أكتوبر/تشرين أول**2008** إنه يعمل من أجل الفلسطينيين، من أجل أن يكونوا قادرين على تحمل مسؤولية أمن بلدهم، وبذلك يصبحون قادرين على إقامة دولة فلسطينية.

لم يتكلم دايتون في هذه المقابلة عن الخدمات الأمنية التي يقدمها للإسرائيليين، وكأنه ليس منسقا أمنيا بين الفلسطينيين والإسرائيليين وإنما مجرد خادم للشعب الفلسطيني. واضح من خلال المقابلة أن فلسفة دايتون الأمنية تقول إن أمن الفلسطينيين يمر عبر أمن الإسرائيليين، والخطر يبقى محدقا بالفلسطينيين ما لم تنم إسرائيل بهدوء.

يقول دايتون في إحدى محاضراته إنه يتلقى مساعدة من عدد من الضباط الإنكليز والكنديين، ويحدد عدد الإنكليز بثمانية، والكنديين بـ**18**. تساعده شركة أمنية خاصة اسمها ليبرا **Libra** مكونة من مرتزقة على نمط الشركات الأمنية العاملة في العراق.

يقوم هؤلاء الضباط بالتجوال في الضفة الغربية باستمرار ويجتمعون بضباط فلسطينيين وينسقون معهم، ويعملون باستمرار على تقييم الأوضاع الأمنية، ويقدمون النصائح لقيادته. هو يقول إن الكنديين والبريطانيين عبارة عن آذان وعيون الأميركيين، وهو يصحبهم معه في حله وترحاله. ويضيف أنه على اتصال دائم مع مجموعة الشرطة الأوروبية التي تعمل مع الشرطة الفلسطينية. ويتفاخر بأنه يمكن أن يجتمع صباحا مع وزير الداخلية الفلسطيني، ومع مسؤول أمني إسرائيلي في المساء، ويطلب من مستمعيه أن يصدقوا أن هذا التطور موجود الآن في المنطقة.

يشير دايتون أيضا إلى تعاون بعض البلدان العربية معه مثل الأردن ومصر والإمارات العربية المتحدة، وإلى تعاون أجهزة أمنية كثيرة -ومنها أجهزة عربية- من أجل تحقيق هدف ما يسميه السلام. ومن هذا نرى أن دايتون يقود جهدا دوليا واسعا يتصف بالحساسية الأمنية.

الهدف

دايتون يريد التأكيد على أمن إسرائيل لكي يتم إحراز أي تقدم في العملية التفاوضية. أمن إسرائيل أولا، وأمنها آخرا، وبدون ذلك لا يمكن أن تأذن إسرائيل بتقدم تفاوضي، ولا يمكن أن تناقش حقوقا وطنية بجدية. إنه يؤكد على البنود الأمنية الواردة في اتفاق أوسلو وما بني عليه من اتفاقات مثل اتفاقية طابا، وعلى ما ورد في خريطة الطريق.

وتقضي الخريطة بضرورة قيام السلطة الفلسطينية بمهام أمنية مثل تجريد المقاومة الفلسطينية من السلاح وملاحقة المقاومين، وتدمير البنى التحتية للإرهاب. وعلى ذلك، يجب دعم السلطة الفلسطينية ماليا وتسليحا وتجهيزا لكي تتمكن من القيام بالمهام المطلوبة منها.

هذا ليس بالأمر الغريب على الفلسطينيين حيث قامت السلطة الفلسطينية منذ عدة سنوات باعتقال فلسطينيين وزجت بهم في السجون، وأفشلت عمليات عسكرية لفصائل فلسطينية، واستولت على مواقع قالت إنها مخصصة لصناعة المتفجرات أو تستعمل نزليا (لوجستيا) من قبل مقاومين فلسطينيين.

مطلوب من السلطة تجديد نشاطها باستمرار وإثبات قدرتها على ضرب المناوئين للعملية التفاوضية وخاصة المسلحين. ولهذا تتركز الجهود الدولية ومنذ أن تم توقيع اتفاق أوسلو على ملاحقة المقاومة الفلسطينية حتى إنهائها تماما، ومتابعة الثقافة الفلسطينية التقليدية المؤمنة بالمقاومة واستبدالها بثقافة الهزيمة والاستسلام والقبول بإسرائل كصاحبة حق بدون منازعة.

يتأسف دايتون على الوضع في غزة ويقول إن حماس استطاعت السيطرة على غزة بسبب الدعم السوري والإيراني المالي والتسليحي مشيرا إلى أن أسلحتها متطورة. طبعا لم يقارن دايتون بين السلاح الذي بيد حماس قبل سيطرتها على القطاع وبين ذلك الذي بيد السلطة، ولم يذكر كيف كانت تدخل الأسلحة المتطورة. كان دايتون خجولا جدا في هذه المسألة لأن القوات التي أشرف على إعدادها وتجهيزها خسرت قبل أن تبدأ المعركة.

يتم طرح القضية الأمنية في كل المؤتمرات والحوارات والنقاشات التي تجري على الساحة الدولية بخصوص النزاع الدائر، ودائما يتم التأكيد بإجماع مختلف الدول العربية وغير العربية على ضرورة توفير الأمن لإسرائيل وذلك بتمكين السلطة الفلسطينية وضرب المقاومة الفلسطينية بلا هوادة.

أكد دايتون في محاضرة ألقاها في معهد دراسات الشرق الأدنى بتاريخ **7/5/2009** أنه لا يقدم للفلسطينيين شيئا إلا بعد التنسيق مع الإسرائيليين والحصول على موافقتهم. وأشار إلى أن الإسرائيليين قادوا فرقة من الشباب الفلسطيني للقيام بعملية عسكرية في الخليل (وهي التي استشهد فيها عبد المجيد دودين قائد كتائب القسام).

وقد علق ضابط إسرائيلي على الأمر قائلا إنه يثق بهؤلاء الفلسطينيين الذين قادهم، وهم صادقون معه. أي أن المسألة تتعدى استدخال الهزيمة إلى استطياب العمل العسكري إلى جانب الإسرائيليين ضد الفلسطينيين.

وأيضا تسعى أميركا ومن معها إلى بث الفرقة والفساد والبغضاء في صفوف الشعب الفلسطيني لما في ذلك من مردود إيجابي على إسرائيل وأمنها. من المهم أن يقتتل الفلسطينيون ويتناحروا حتى تبقى إسرائيل متفرجة دون أن يمسها أذى، ولهذا نسمع باستمرار تصريحات من مسؤولين غربيين حول الوفاق الفلسطيني تحذر من أن الاتفاق بين فتح وحماس سيؤدي إلى وقف تدفق الأموال على الشعب الفلسطيني.

آليات العمل

هناك عدد من الآليات يتم استخدامها من أجل تحقيق الهدف، أذكر منها التالي:

أولا: كسب ثقة الفلسطينيين. دايتون وأعضاء فريقه يتلقون الدروس حول الثقافة العربية بصورة عامة والفلسطينية بصورة خاصة من أجل أن يكيفوا سلوكهم بطريقة تبعث الثقة في نفوس الفلسطينيين. هم يتعلمون العادات والتقاليد الفلسطينية، ويعملون على استطعام الأكلات الفلسطينية ويمجدونها، ويتصرفون في كثير من الأحيان بالطريقة التي تريح الفلسطيني. وهم يتعلمون الحركات التي تجعل الفلسطينيين سعداء، ويبتعدون عن الأعمال والأقوال التي قد تمس بكرامة الأشخاص أو تشعرهم بالإهانة. فكل برنامج دايتون يتطلب اطمئنان الفلسطينيين ويحتاج إلى ثقتهم، وإلا كان الفشل هو النتيجة.

يركز دايتون وفريقه على ضرورة تحقيق المصلحة الوطنية الفلسطينية، ويتحدثون بإسهاب عن أهمية إقامة الدولة الفلسطينية. وفي كثير من الأحيان، يبدو دايتون وفريقه وكأنهم فلسطينيون أكثر من الفلسطينيين، وهذا جزء مهم من المقاربة لكسب الود والثقة.

ثانيا: التجهيز والتدريب. يصف أحد الكتاب الأميركيين وهو إيثان برونر **Ethan Bronner** في مقال له نشرته صحيفة نيويورك تايمز بتاريخ **7/12/2008** التجهيز قائلا إنه توجد في مركز تدريب حرس الرئاسة الفلسطينية في أريحا تجهيزات عوائق وقفز، ومختلف أدوات التدريب.

ويقول إن أميركا أنفقت على هذا المركز -الذي تبلغ مساحته **72** دونما- **10** ملايين دولار من أموال دافع الضريبة الأميركي، وفيه تجهيزات حديثة ووسائل نوم مريحة، بعد أن كان الفلسطينيون ينامون على فراش تتفشى فيه البراغيث. وعلى البعد منه يقوم معسكر ميداني على مساحة **140** دونما كلف أميركا **11** مليون دولار. وقد قال دايتون لزائره إن هؤلاء الشباب -أي شباب فلسطين الذين يتدربون- يشعرون بأنهم فريق فائز، وهم يبنون دولة. وأضاف أنه لم يكن ليستمر لو لم يعرف أن هؤلاء الشباب سيقومون بالعمل. أنا أثق بالقيادة الفلسطينية.

ويقول برونر إنه تم تدريب **1600** من القوات الخاصة في الأردن، وهي تقوم الآن بالتنسيق مع القيادة الإسرائيلية في أعمال الدورية بعدد من المدن الرئيسية بالضفة. وقال إن انتفاضة في الضفة الغربية لم تحصل إبان حرب إسرائيل على غزة بسبب إجراءات الأمن الفلسطيني.

وقال قائد القوات الفلسطينية في المكان إن الفلسطينيين يتلقون تدريبهم من قبل دايتون بأموال أميركية، ووظيفتهم هي حفظ القانون والنظام ومكافحة الإرهاب. وعندما سئل هذا القائد عن استعمال كلمة إرهاب قال إنهم (أي هو والمتدربون) كانوا يتهمون كل من يستعمل كلمة إرهاب بخصوص الفلسطينيين بالعمالة لإسرائيل، أما الآن فقد تغير الأمر لأن بعض الناس يقومون بالإرهاب تحت شعار المقاومة.

ووفق ما يتوفر من إحصائيات، فقد أنفقت أميركا على تجهيزات خاصة بالأجهزة الأمنية سواء في غزة أو في الضفة الغربية حوالي **161** مليون دولار، وهي تطلب من الكونغرس تخصيص حوالي **60** مليون دولار إضافية.

ثالثا: انتقاء العناصر. يقول دايتون إن قيادته لا تقبل للتدريب كل من يرغب في ذلك. يتم فحص كل عنصر (واستعمل كلمة الفحص البيطري) من قبل أجهزة الأمن الأميركية والإسرائيلية قبل الموافقة على الانضمام. وإذا كان التدريب سيتم في الأردن فإنه يتم فحص العنصر من قبل المخابرات الأردنية. المعنى أنه لا يُقبل في التدريب ومن ثم الانضمام إلى أجهزة الأمن الفلسطينية إلا من رضيت عنه أجهزة الأمن الأميركية والأردنية والإسرائيلية.

رابعا: نوعية السلاح أكد دايتون أمام لجنة الكونغرس أن السلاح الذي يعطى للفلسطينيين غير قاتل، وكان ذلك إجابة عن تساؤلات أعضاء اللجنة عن الخطر الذي يمكن أن يشكله السلاح الذي يعطى للفلسطينيين على إسرائيل طبعا في خاطر الأميركيين ظن بأن فلسطينيا من السلطة الفلسطينية قد يعبر عن غضبه واستيائه بفتح النار على إسرائيليين، وتبعا لذلك يرون أنه من الممكن أن يشكل سلاح السلطة خطرا على إسرائيل وقد كانت إجابة دايتون واضحة بأن السلاح الذي يعطى للفلسطينيين تتم معالجته بحيث لا يكون قاتلا بالنسبة للإسرائيليين

تقديري أن هذا السلاح يتعرض لدرجة حرارة عالية تجعل مداه محدودا جدا بحيث يستطيع أن يصل الفلسطينيين، لكنه لا يصل الإسرائيليين الذين يحتاطون في العادة ويتحصنون وهذا ما يفسر قول دايتون أمام اللجنة إن ضباطا إسرائيليين يقومون بفحص السلاح قبل إعطائه للفلسطينيين

خامسا: الإبقاء على الفلسطينيين مكشوفين أمام الإسرائيليين ولأن الإسرائيليين لا يطمئنون لأحد، فإنهم يريدون مراكز أمنية فلسطينية مكشوفة ويسهل ضربها بالدبابات فيما إذا شعرت إسرائيل بخطر واضح أن المراكز الأمنية محصنة ضد أفراد يحاولون التسلل، لكنها لا تصلح بتاتا للصمود في مواجهة الجيش الإسرائيلي ولو لفترة قصيرة

أما بالنسبة للأفراد فإن إسرائيل ترفض تسليحهم بملابس واقية من الرصاص، وذلك من أجل أن يبقى العسكري الفلسطيني معرضا للرصاص الإسرائيلي إذ ينظر الإسرائيليون إلى الملابس الواقية كعنصر مشجع على إطلاق النار مما يعرض حياة جنودهم للخطر حتى إن حركة العسكريين وهم في مهام رسمية مقيدة من قبل الإسرائيليين، يحتاجون إلى إذن لدخول مناطق مصنفة ب وج وعندما يقرر الإسرائيليون دخول مكان يوجد فيه أفراد من الأجهزة الأمنية فإنهم يأمرون بالإخلاء فيختفي الفلسطينيون بأسلحتهم

النتيجة

حقق التنسيق الأمني مع إسرائيل، وتأهيل رجال أمن فلسطينيين عددا من النتائج أذكر منها:

1- عدد من الفلسطينيين باتوا معجبين بمدربيهم ويدافعون عنهم على أنهم أنصار الدولة الفلسطينية، وحتى إن بعضهم بات يهزأ بالنضال الفلسطيني ويعتبره مرحلة من إهدار التضحيات

2- لم يعد هناك خجل لدى العديد من الفلسطينيين من التعاون مع الإسرائيليين أمنيا، وهم يرون أن التعاون يخدم ما يسمونه المصلحة الوطنية الفلسطينية

3- يقول دايتون إن الفلسطينيين قد حققوا أمنا داخليا ويشرح قائلا إن شابات جنين لم يعدن يخشين السير في الشارع ليلا بسبب اختفاء رجال العصابات، لكنه لم يقل إن أغلب الذين كانوا يتعرضون للفتيات تم استيعابهم في الأجهزة الأمنية، وعدد منهم ما زال يمارس ذات الممارسات المسيئة إلى الشعب الفلسطيني بأسلوب جديد

4- يعبر الإسرائيليون عن اغتباطهم ويثنون على دايتون ورفاقه، ويقولون إنه كلما قام الفلسطينيون بالمهمة ينخفض معدل عمل إسرائيل في الضفة

5- لا يبدو أن العقل العربي يستفيد من تجاربه، ولا يبدو أن المسؤولين يدرسون التاريخ وما دام دايتون قد وعد بدولة، فما عليهم إلا أن ينتظروا

---

*رئيس قسم العلوم السياسية بجامعة بيرزيت